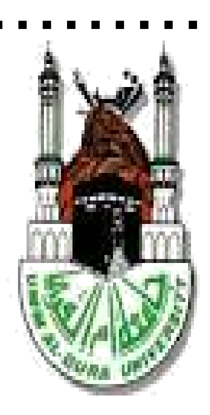




هدي القرآن في تجاوز بعض معوقات التربية الداخلية

بحث مقدم لملتقى التربية بالقرآن(مناهج وتجارب)

مقدمته/د. معتوقة بنت محمد حسن بن زيد الحساني

١٤٣٥-١٤٣٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا وأشهد أنه لاإله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وزوجاته وصحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد :-

فإن المنهجية المتكاملة في التربية نجدها من خلال القرآن الكريم فالمتدبر لكتاب الله تعالى يجد أن هناك سورة كاملة يعظ فيها الأب ابنه ليكون لبنة صالحة في مجتمع صالح ،ولكن بهجر الناس للقرآن وتركهم الفهم، والتدبر لكتاب الله تعالى ،نجدهم يقعون في كثير من الأخطاء في تربية أبنائهم.

إن تربية الأبناء والأخذ بيدهم إلى السمو والرفعة وانتشالهم من الفساد والضياع هوما يشغل بال المربين والمسؤولين عن التربية، لما رأوه في واقع الحياة من تخبط وفساد ،وما كان ذلك إلا بسبب البعد عن منهج التربية القرآني ،والاعتماد على المناهج البشرية القائمة على الماديات والمثاليات فهي دائما على طرفي نقيض والحل لن يكون إلا في العودة إلى منابع التربية الصحيحة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وفي هذا البحث سأحاول جاهدة الإشارة إلى بعض المعوقات والأخطاء التربوية التي يمارسها الآباء في تعاملهم مع الأبناء ،ونتلمس بعض العلاجات التي أشار إليها هدي القرآن في آياته الكريمة ،وقد سميت البحث (هدي القرآن في تجاوز بعض معوقات التربية الداخلية)،وقد تطلب البحث في هذا الموضوع حصره في عشرة عناصر، كالتالي:

المقدمة

المطلب الأول:- ضعف التمسك بمصدري التشريع الإسلامي الأول.

المطلب الثاني:-غياب الهدف من الحياة.

المطلب الثالث:-ترك تعزيز مفهوم التقوى.

المطلب الرابع:-ترك الحكمة والرفق والرحمة في التعامل.

المطلب الخامس:-الأسلوب التسلطي.

المطلب السادس:-ضياع التواصل بين الآباء والأبناء.

المطلب السابع:-الازدواجية والتناقض في التعامل.

المطلب الثامن:-التمييز بين الذكور والإناث.

المطلب التاسع:-غياب القدوة.

المطلب العاشر:- سوء استخدام مبدأ الثواب والعقاب.

الخاتمة.

الفهارس.

هذا وأسأل المولى القدير التوفيق والسداد،وصلى الله وسلم وبارك على نبي الرحمة محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المطلب الأول

ضعف التمسك بمصدري التشريع الإسلامي الأول

إن من أعظم أسباب تدمير الأبناء تربويا هو ضعف التمسك بالكتاب والسنة وما يتبعهما من الإجماع وسائر أصول هذا الدين، لأن عصرا كعصرنا اختلفت فيه الديانات ،والثقافات ،والمتغيرات ،والفضائيات والتقنيات وكثرت فيه الشبهات ،وأصبح الكل يعيش في مفترق الطرق وتحت تأثير هذه الاختلافات ،التي صارت عوامل لكثير من المشكلات التربوية والأخلاقية ، ومتى ما ضعف التمسك بكتاب الله وسنة رسوله-ﷺ- زاد النخر في الأمة وغرست المهانة والذلة وضاق العيش قال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ (الزخرف : آية ٣٦).

" فهذا الذي تغافل عن الهدى يقيض له من الشياطين من يضله ، ويهديه إلى صراط الجحيم ".[١]

وبتركهما يكثر الباطل وتتبع الشبهات قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ (الإسراء/آية ٩- ١٠).

هنا يمدح تعالى كتابه العزيز الذي أنزله على رسوله محمد-ﷺ- (بأنه يهدي لأقوم الطرق ، وأوضح السبل)[٢] .

مبدأ عظيم من أهم وأعظم مبادئ التغيير بالقرآن تسفر عن أن القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان وبه يصلح ما فسد من واقع الناس جميعا.فهو يهدي للعقيدة التي هي أقوم ، والطريقة التي هي أسد، وأعدل والتي هي أصوب.[٣]

قال تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ (النور/ الآية٦٣).

فهذا أمر من الله تعالى أن يهاب كلام وفعل رسوله ويطاع ويعظم ويبجل ويسود[٤] قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ (العنكبوت/ آيه٥١).

---

[١]-انظر:ابن كثير،تفسير القرآن العظيم ،(١٢٨/٤).

[٢]-انظر:المصدر السابق(٣/ ٢٦)

[٣]-انظر:القرطبي،أحكام القرآن،(٢٥٥/١٠)،ومحمد المكي،التيسير في أحاديث التفسير من إملاء محمد المكي(٣٧٩/٣). بتصرف

فمن الخطر الجسيم أن يضعف التمسك بهما و ينهض على أثرهما مجتمعٌ سائبٌ غيرُ ملتزم ولا منضبط ،مجتمع علماني اشتراكي أو قومي لذلك كان من الواجب ترسيخ وتثبيت الإيمان بكتاب الله وسنة رسوله في نفوس أبنائنا.

وبهذا الرسوخ نستطيع أن نطوع نفوسهم بما في كتاب الله وسنة رسوله من منهج تربوي تقوى بها نفوسهم وتصلح أجسادهم ،فينشأ الأبناء في بيئة تدين بعقيدة التوحيد عقيدة لا تقبل أن تكون على هامش الحياة ،عقيدة انشأت جيلا من الصحابة جيلا كان كتاب الله وسنة رسوله هما الدافع والموجه والمؤثر الأول في حياتهم وهما مصدرا الفكر والحركة والانطلاق ،وهما ينبوع الفضائل والأخلاق وهما الأساس المكين قال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ (التوبة /آية ١٠٩).

وعلى هذا البنيان تقوى قلوبهم ،وتنضج عقولهم فلا يحلون ما حرم الله ورسوله ،ولا يحرمون ما أحل الله ورسوله ، يكونون كمن تمسك بسفينة النجاة والسير إلى الحياة الطيبة والمضي إلى رضوان الله قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (النحل /آية ٩٧).

فعلى الآباء أن يجتهدوا في غرس حب كتاب الله وسنة رسوله في قلوب أبنائهم لتنشرح صدورهم ويتخلصوا من ظلمات الجهل والظلم والعدوان قال تعالى : ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الزمر/آية ٢٢).فلا نجاة ،ولا سعادة ، ولا طيب للنفوس، ولا زكاة للقلوب، إلا إذا كان الكتاب والسنة منهجًا للأبناء في حياتهم، يُقيمون حدود الله، ويحكمون شرع الله، ويتحاكمون إليه، ويرضون بأحكامه، وتطمئن بذلك نفوسهم،ومن أراد السعادة والاطمئنان في غير هذين المصدرين العظيمين، فإنه يستحيل عليهم أن يحققوا أمنًا واستقرارًا ،إذا لم يغرس حب الكتاب والسنة، فكتاب الله وسنة رسوله هما أمن للفرد في الدنيا، وأمن له يوم القيامة. قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (الأنعام : آية ٨٢).

[٤] –انظر :ابن كثير،(٣١٩/٣).

المطلب الثاني

غياب الهدف الأسمى من الحياة

إن أسمى الأهداف وأعزها أن يبلغ العبد بإيمانه ومعرفته . القرب من الله . فما الحياة الدنيا إلا ممر ووسيلة لبلوغ الإيمان ، والقرآن الكريم يحصر لنا هذا الهدف السامي في قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾(الذاريات/آية٥٦).

ففي ضوء هذه الآية الكريمة والتي تعد قاعدة يبنى عليها الإنسان أهدافه وغاياته من الحياة فساعات يومه كلها خاضعة لعبادة الرحمن جل في علاه، فأعمال الفرد لا تكون مقبولة إلا إذا انطلقت من الدين الحق سواء كانت أسرية ،أم اجتماعية ، أم سياسية، أم اقتصادية فحياة الفرد كلها لابد أن تكون على منهج الله أمرا ونهيا، وامتثالا واجتنابا قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾(النحل :من آية ٣٦).لذلك كان لزاما على كل مسؤول استرعاه الله رعية تحديد هذا الهدف ليكون السلوك متعلقا بالنصوص الشرعية ،فالهدف من الحياة العدل والاستقامة ،والانضباط لذلك عرفت العبادة أنها(اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال)[٥].

فبتحديد الهدف يتضح الطريق وتعرف السبل فإنّ أهمَّ ما يُميِّز مسيرة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عن غيرهم من البشر هو وضوح الهدف أمامهم ؛ لذلك نرى منهم هذه القَدَم الراسخة في السير نحو الله ﷻ ،. فهم يتوجّهون إلى هدفهم بلسان وقلب مرددا دائماً وأبداً : ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾(الأنعام /آية٧٩). فهذه القَدَم الراسخة والثابتة نجدها في أتباعهم على مرِّ التاريخ. ولا يوجد أيُّ منهج غير منهج الأنبياء والمرسلين عليهم السلام يستطيع أنْ يورث الإنسان الوضوح في الغاية والطريق، وبهذا الوضوح للهدف الأسمى يصير الالتزام بمتطلبات الحياة وفق أولويات أهدافه، لذلك من المهمِّ أن نعلّم أبناءنا أنّ الأهداف في حياة الإنسان لها ترتيبات من حيث الأهميّة، وفي النهاية كلُّها تقع تحت ذاك الهدف الّذي يتوقّف عليه مصير وسعادة الإنسان الحقيقيّة والأبديّة.

إذن من خلال ذلك نستطيع القول بأن غياب هذا الهدف السامي يدفع الإنسان إلى التخبط في ضلالات الأفكار والعقائد ، فنراه يعيش حياة بلا معنى ولا هدف، فلا يدري أين يتجه ولا على أي طريق يسير،وسيظل تائها يشعر بفقر نفسه وفراغ روحه ،ورخص حياته،بل إنه يورث التيه والكسل وعيشة العدم.

---

[٥]–انظر:ابن تيمية،الفتاوى،(١٠/١٤٩).

خلقنا سبحانه لهدف رسمه لنا ؛ فإذا عمل الإنسان له سعد في الدارين معاً وإن لم يهتم له وعمل بهواه فإنه يندم وحينها لا ينفع الندم، ولسان حاله ومقاله : ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٦﴾﴾ .(الفجر /آية ٢٤-٢٥-٢٦).

ويشتد عليه الأمر في آخرته كما أخبر سبحانه وتعالى : ﴿ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾﴾ (الفرقان /آية ٢٧).فندم الظالم الذي تخبط وفارق طريق الرسول وما جاء به من عند الله من الحق المبين ، الذي لا مرية فيه ، وسلك طريقا أخرى غير سبيل الرسول ، فإذا كان يوم القيامة ندم حيث لا ينفعه الندم ، وعض على يديه حسرة وأسفا، وما هذا إلا لأنه تخبط في هدفه وضاعت أولوياته.[٦]

[٦]-انظر:ابن كثير،(٥٠٦/٣).

المطلب الثالث

ترك تعزيز مفهوم التقوى

التقوى التزام باتجاه الله ليتحقق السلوك السوي للإنسان قال تعالى : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ (الروم/ آية٤١).فهذا إعلان من الله تعالى بفساد المعايش ونقصها وحلول الآفات بها[7] وما النجاة إلا بالامتثال والعمل بوصيته سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ ﴾ (النساء /آية١٣١).

فبترك التقوى يضيق الأمر وبها يتيسر الأمر قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ﴾ (الطلاق /آية ٤). وبتركها يحصل ضرر الشيطان وبها **يحمى الإنسان من ضرر الشيطان، قال تعالى :** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ **(الأعراف:٢٠١)** . بتركها **تقفل بركات السماء والأرض وبها تفتح البركات من السماء والأرض، قال تعالى :** ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾(**الأعراف**:آية**٩٦**) بتركها يضل الفرد بين الحق والباطل وبها يحصل **التوفيق في الفصل بين الحق والباطل، ومعرفة كل منهما قال تعالى :** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ (الأنفال/آية٢٩).هي سبب لتعظيم شعائر الله، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ **(الحج/آية٣٢)** هي سبب لنيل العلم وتحصيله قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾(**البقرة**/آية**٢٨٢**) .

إذن فمفهوم التقوى من المفاهيم الجامعة لكل خير ففي قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ (النساء:آية١) ،فالدعوة إلى تقوى الله من مقاصد القرآن العظيم وهي دعوة معظم آيات الكتاب الحكيم ؛وذلك لتتميم السعادة بين الناس جماعات وفرادى ولتسهيل طريق الحياة،ففي هذه الآية الكريمة الأولى في سورة النساء والتي عنيت بتنظيم شئون المجتمع المسلم وأبانت ملامح العلاقات التي يجب أن تكون بين الأفراد فبانحراف الأفراد عن مفهوم التقوى ينحرف مفهوم

---

[7]–انظر:السعدي،تيسير الكريم الرحمن في تفسير آي القرآن،(٤/٩٠).

أصل الأخوة الإنسانية فلا يرعى في ذلك حرمة ولا يرقب فيها إلاّ ولا ذمة فنجد مجتمعا به أفراد سيئي الجوار بذيئي اللسان وشديدي الإيذاء للناس.

دعوة لجميع أمّة الدعوة الذين يسمعون القرآن اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ،دعوة تظهر فيها المناسبة بين وحدة النوع ووحدة الاعتقاد .[٨]

من هنا تبرز الحاجة إلى تقرير هذا المفهوم لدى الأفراد والأخذ به بقوة فالتقوى هي الضابط لحياة الأبناء وهي الرقابة الداخلية التي تحفز لفعل الخير وترك الشر فليحرص الجميع على توثيق صلة الأفراد بخالقهم ؛لذلك كان من الواجب ألاّ يهمل ولا يفرط في تربية الأفراد على تقوى الله ،و كل من استرعاه الله رعية عليه أن يتفقد ما استرعاه الله في حركاتهم وسكناتهم ومراقبة أعمالهم،وحثهم وترغيبهم على الخير وتحذيرهم من الوقوع في الشر ،وأن يسلك بهم طريق الطاعة ونجنبهم طريق المعصية ،وسبل الشيطان قال تعالى: ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (الزمر :آية ٦١) بالتقوى يبنى الفرد على الفضيلة والتقوى والشرف والعفة تحت ظل إيمان بالله يقوّم أعماله وسلوكه، يتمتع بالأخلاق والحياء والإنسانية بعيداً عن الشيطان وعن الذنوب والجرائم ،فينشأ فردا نشطاً وفعّالاً في الشدة والرخاء يؤدي وظائفه الفردية والاجتماعية على أحسن حال، وبالتقوى تصون النفس عن ارتكاب الذنوب والشبهات .

تقوى الله هي الزاد الأعظم والطريق الأقوم ،بها تصح العقيدة والعبادة والمعاملة والسلوك والأخلاق،يرقى الفرد والمجتمع ويقبل التغيير من السلب للإيجاب.

[٨]- انظر:ابن عاشور،التحرير والتنوير،(٤/٢١٨).

المطلب الرابع

ترك الرفق والرحمة والحكمة في التعامل

كان الأنبياء عليهم السلام أرحم الناس ، وكان خاتمهم وسيدهم محمد ﷺ أوفرهم نصيباً من هذا الخلق حتى كانت رسالته رحمة للعالمين قال الله سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ (الأنبياء:آية ١٠٧)، وقد لازمه هذا الخلق في أشد الأوقات، فلما آذاه أهل مكة وكذبوه وأخرجه أهل الطائف ورموه بالحجارة ؛ خرج كسير النفس ، مجروح الفؤاد يتلمس الفرج، جاءه ملك الجبال وعرض عليه إهلاكهم فقال ﷺ : " بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا".[٩] رحمة لم تعرف البشرية نظيراً لها . والمؤمن له نصيب من هذه الصفة وأولى الناس بالرحمة أبناءنا فلذات أكبادنا.

إذن الأصل في الإسلام أنه دين الرحمة والرفق والحكمة ،ما نريده هو أن تكون تربيتنا قائمة على أساس منهج الرحمة والحكمة والرفق وترك الشدة والعنف والغلظة ،وأن نشيع ثقافة الرحمة والرفق في أفرادنا ومجتمعاتنا.

فالرفق والإحسان من شأن الرحمن قال تعالى : ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠ ﴾ (الرحمن :آية٦٠)، فها هي النفوس ضلت وكثر ضلالها وعمت بصيرتها عن الصواب فالحكمة تقتضي التعامل معها بالحكمة والرحمة والرفق كما كان شأن المصطفى ﷺ مع قومه فالنفس طبعها النفور والتمرد،ولكن العنف لا يولد إلا عنفا ،والقسوة لا تولد إلا قسوة ،ولكن لا يمنع أن نجمع بين الرفق ، والشدة ليحصل التوازن في شخصية الفرد،ولعله من الحكمة مراعاة كل ظرف بما يناسبه، والتعامل مع كل حالة بما تقتضيها؛ من الأخذ بقوة أو الرفق واللين ، غير أنه يبقى أن الأصل في التعامل الاجتماعي اللين والرقة ، ما لم يقم ما يقتضي خلاف ذلك وشخصية المربي لتقتضي القدرة على التعامل مع المربيين باللين ،و مقصدنا من التعامل بالحكمة والرفق واللين تغيير السلوكيات والأخلاقيات الفظة والتعاملات الغليظة،وإيصال المنافع والمصالح للفرد أولا و المجتمع ثانيا.

فما أحوج الأفراد وما أشد الافتقار إلى مثل هذا التعامل الذي يضمد الجراح .

فالشدة والغلظة في التعامل واستعمالهما وسيلة وحيدة مع الأفراد يعد عائقا تربويا وخطرا يحيط بالفرد والمجتمع قال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ ﴾ (آل عمران:آية١٥٩)، وتكون الشدة غالبا سببا في العديد من المشاكل و الصراعات و سببا أيضا في التعثر والفشل و الإخفاق...وبالرفق واللين تتماسك العلاقات وتقوم على السماحة،قال تعالى: ﴿

[٩] -رواه مسلم رقم (١٤٢٠).

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ (**النحل:آية١٢٥**)، وتعتبر من المفاتيح الأساسية لكسب المودة و تعزيز العلاقات و تحقيق التقدم و النجاح لأنها تختصر الطريق و تفتح الأبواب و الأفاق فهذا الأسلوب الأمثل في التعامل ولابد أن تكون غاية ومطلب المربيين ؛لتقوم التربية على أساس رصين قوي.

ومن تأمل كتاب الله ﷻ وجد أنه سبحانه عظم الرفق وأمر به ،والرفق كما ذكرناهو دأب الأنبياء، فإن الله تعالى لما أرسل موسى – عليه السلام– إلى فرعون الطاغية المتكبر الذي ليس بعد طغيانه طغيان.. ادّعى الألوهية.. وقتل بني إسرائيل.. وسخر الناس بين يديه.. بل بلغ من طغيانه أنه جمع جنوده وبنى صرحاً عالياً ليرقى إلى إله موسى فيقاتله ومع ذلك لما أرسل الله موسى وهارون إليه قال سبحانه : ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤ ﴾(طه:آية ٤٣-٤٤)،ولننظر إلى غاية الرفق وعظم اللين والسهولة في حال إبراهيم –عليه الصلاة والسلام – دعا أباه إلى الإسلام فصرخ به أبوه الكافر وقال : ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦ ﴾(مريم :آية ٤٦) فردّ إبراهيم بكل رفق ولين قائلا : ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧ ﴾ (مريم :آية ٤٧). فكان الأنبياء عليهم السلام يصِلون بالرفق واللين إلى ما لا يصِل إليه غيرهم..[١٠]

إن ممارسة العنف والشدة والقسوة يخلق في النفس الكراهية والتنافس البغيض والمقت والفشل والبلادة .
إننا حين نقسو ونمارس الشدة، فان ذلك يعكس جهلنا بالظاهرة الإنسانية وبمبادئ التربية. ألا نشعر أن ذلك هو الأساس الذي تبنى عليه كل ألوان القسوة الأخرى؟ فمن المعلوم أن الشدة تؤدي إلى إنتاج شخصيات خائفة، تتميز بالعجز، والقصور، والى إنتاج الشخصية السلبية ، والانفعالية أو العدوانية، ويحرم من فرص التعبير عن الشعور والأفكار، فيكبل العقول ، ويحد من النمو الذهني، حيث يصبح عقل المتربي أداة ترديد وحفظ، بدلا من أن يكون وسيلة تحليل ومعرفة ونقد. كما يصبح أداة للتقليد بدلا من أن يكون طاقة لخلق الإبداع.إن استعمال الشدة والقسوة بصورة مستمرة، والصد والزجر، يؤدي إلى قهر النفس وانقباضها وضيقها، وما يكتنف ذلك من الملل والقلق والاكتئاب وهو ما أشار إليه ابن خلدون بقوله: "ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم، سطا به القهر، وضيق على النفس في انبساطها ، وذهب بنشاطها..."[١١].

---

[١٠]-انظر:ابن كثير،(٢٣٦/٥).
[١١]–انظر:مقدمة ابن خلدون ،(٢/ ٥٤٠)

فمن خلال التوجيهات القرآنية نجد المنهجية المتكاملة الشاملة لتكوين الفرد النموذجي ،وأثر ذلك المنهج في تأثيره في تغيير أو تعديل سلوك الفرد نحو الفضيلة، فبالحكمة والرفق واللين نصيب الحق وندخل إلى القلوب الشاردة ونؤلف القلوب النافرة ونأتي بخير من الزجر والعنف والتوبيخ، ونأتي بالتي هي أحسن بلا تحامل ولا ترذيل ولا تقبيح حتى يطمئن الفرد ويشعر بالأمان.

فالآيات توجه إلى الرحمة وعدم الغلظة، مبينة أنه رافد عظيم وخلق كريم، كان دافعا من دوافع نجاح رسول الله صل الله عليه وسلم في دعوته، والتفاف صحابته حوله، وإصغائهم إلى أوامره، وتحري مرضاته، وعدم تقدمهم بين يديه، فهو بهذا الخلق وبغيره قد صار عندهم أغلى من المال والولد، بل من النفس والذات؛وعلى ذلك فإن المربي مطالب بانتهاج منهج رسول الله ﷺ في ذلك، وهو منهاج القرآن أيضا الماثل في قوله تعالى : ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة:آية ٨٣) .

المطلب الخامس

كثرة الأوامر والنواهي (الأسلوب التسلطي)

هناك اتجاهات غير سوية وخاطئة ينتهجها المربي في تربية الفرد ،والتي تترك بآثارها سلبا على شخصيته ،منها التحكم في نشاط الفرد والوقوف أمام رغباته التلقائية بإصدار الأوامر والنواهي، لمنعه من القيام بسلوك معين لتحقيق رغباته التي يريدها حتى لو كانت مشروعة، أو الإلزام بالقيام بمهام وواجبات تفوق قدراته وإمكانياته وتكو ن قائمة الممنوعات أكثر من قائمة المسموحات، ظنا من المربي أن ذلك في مصلحة الفرد دون أن يعلم أن ذلك الأسلوب خطر على شخصية الفرد،ونتيجة لذلك الأسلوب المتبع في التربية ينشأ الفرد ولديه ميل شديد للخضوع واتباع الآخرين لا يستطيع أن يبدع أو يفكر، ويفقد القدرة على إبداء الرأي والمناقشة ،كما يساعد اتباع هذا الأسلوب في تكوين شخصية قلقة خائفة دائما من السلطة ،وتفقد الثقة بالنفس وعدم القدرة على اتخاذ القرارات وشعور دائم بالتقصير وعدم الانجاز،وقد ينتج عن إتباع هذا الأسلوب فرد عدواني.

فالتربية القائمة على هذا التسلط والذي يطغى على العواطف تقسِّي مشاعر الأفراد وتجمِّد ينابيع العطاء ،علاوة على ذلك يخلق سلوكا سلبيا كالتبلُّد الانفعالي وعدم الاكتراث بالأوامر والنواهي،والنظر إلى المربيين بعين العداوة والغيظ .

إن في هذا الأسلوب خطر إذا ما استعمل ،وقد يزداد الأمر سوءاً إذا قرن الأمر والنهي بالضرب ..هنا يفقد الفرد الشعور بالأمان والثقة بالنفس كما أنها تجعل الفرد يخاف ويحترم المربي في وقت حدوث المشكلة فقط ،ولكنها لا تمنعه من تكرار السلوك مستقبلا ، وقد يعلل المربي استخدامه لهذا الأسلوب بأنه يحاول دفعه إلى المثالية في السلوك والمعاملة .. ولكن هذا قد يأتي برد فعل عكسي فيكره تحمل المسؤوليات أو يصاب بنوع من البلادة ، كما أنه سيمتص قسوة انفعالات عصبية الكبار فيختزنها ثم تبدأ آثارها تظهر عليه مستقبلاً.

وفي كتاب الله تعالى توجيه بليغ لو نظرنا إليه نظرة المتدبر الواعي ، فقصة العبد الصالح مع نبي الله موسى– عليه السلام– نرى أنه في المرة الأولى بدأ بلفت الانتباه في قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ ﴾(الكهف :من آية ٧٢)، ثم في المرة الثانية يشدد في التنبيه :﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ ﴾(الكهف :من آية٧٥)، ثم القرار في المرة الثالثة : ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ (الكهف :من آية٧٨).وهكذا نتعلم من التوجيه القرآني أننا في النهي عن الأشياء المحببة نبدأ بلفت الانتباه إلى الخطأ لا إلى المخطئ، وفي المرة الثانية نلفت انتباه المخطئ، وفي المرة الثالثة نتخذ القرار واجب التنفيذ.

وفي تحريم الخمر يعلمنا الله ﷻ أننا إذا أردنا أن نمنع إنسانا عن شيئا محببا له علينا أن نتدرج في المنع لا أن نمنعه من أول مرة،والكل يعرف مدى تعلق الخمر بنفوس الصحابة الذين أسلموا، ولو نزل الأمر من

أول مرة بالنهي عن شرب الخمر لكان الأمر فيه مشقة، فبدأ التحريم في أول مراحله بلفت الانتباه غير المباشر إلى الحرمة، فقال الله ﷻ : ﴿فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ (البقرة : من آية٢١٩) ، ثم النهي المبسط غير المباشر في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ (النساء:من آية٤٣) لاحظ سبب المنع، ليس الحرمة بل لتعلموا ما تقولون، ثم النهي الصريح في المرة الأخيرة مع تعليل السبب :﴿رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾(المائدة:من آية٩٠).

ولننظر إلى التوجيه الرباني في قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا ﴾ (البقرة : من آية٢٨٦) ، وقوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ﴾(الطلاق:من آية ٧) ، فإن الله حبا كل مخلوق قدرات قال تعالى : ﴿وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ ﴾ (الزخرف : من آية ٣٢) ، إذن ليكن الأمر في حدود قدرة الفرد.

ولنتدبر خطاب القرآن الكريم إذا أراد أن يكلف بأمر أو يلوم على خطأ يخاطب بأحب لفظة إلى القلوب ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾، ولاحظنا ذلك في تحريم الخمر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ ﴾ (**المائدة :من آية٩٠**) وعند لومه لحاطب بن أبي بلتعة في إفشاء سر النبي يقول له :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾ (الممتحنه:من آية١).

إن استخدام كلمات الحنو والعطف من أفضل الطرق في التعامل ،ولننظر تعامل لقمان لابنه فقد تعامل معه بالحوار واستخدام ألفاظ العطف والحنو ليحكم قبوله له واستماعه له دون كلل أو ملل قال تعالى : ﴿ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ ﴾، وقول : ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ ﴾ ، وقوله : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾(لقمان:الآيات١٣ ،١٦ ،١٧)

فالله ما حرم شيئا إلا وبين علة تحريمه فلايمنع من شيء إلا إذا حدد سبب المنع، أو دوافع الطلب،و حتى يكون العمل على بينة.

هذا القرآن وجّه وبيّن وأظهر لنا عن أسلوبه في استمالة النفس وكسبها وتوجيهها إلى جادة الحق .ففي علاقة لقمان بابنه درس لكل مربّ أن يكون أسلوبه أسلوب الواعظ الناصح المربي المشفق ،المرغّب والمرهّب المستخدم ألفاظ الشفقة والعطف ،يرددها مرارا ليفتح بها القلب النافر والقرآن الكريم يرسم لنا منهجا للتربية القائمة على التوازن والاعتدال في الأمر والنهي.

المطلب السادس

ضياع التواصل بين الآباء والأبناء

نشأت فجوة بين الآباء والأبناء نتيجة الجمود العاطفي بينهما وبانشغال الآباء انعدمت الثقة ،وغاب الاحترام ،وما هذا إلا لاستخدام الأساليب الخاطئة والتجاوزات في التربية بالضرب والشتم والهجر فكل ذلك يؤدي إلى قطع الروابط والتواصل العاطفي ،وخلق حواجز نفسية تؤدي إلى بناء جدار وحاجز عال يمنع الأبناء من مصارحة آبائهم بما يعانونه من مشاكل ويعقد الأمر ما ذكرناه من ممارسة أسلوب التقريع والتأنيب والأوامر، مما يجعل الأجواء الأسرية متوترة ومشحونة، بسبب الجهل الكامل بفوائد التواصل ومزاياه وعدم إدراك أهمية الحوار هذا إن لم يكن يسود الجو العام الخصام والصدام والجفاء بدل التفاهم و التوادد والتكامل والاندماج مع الأبناء،فيكبر الشرخ والتصدع في العلاقة بين الطرفين وتتزعزع الثقة بينهما.

فالقرآن بتوجيهاته يشير إلى أن الأنبياء صلوات الله عليهم جميعا الذين أرسوا قواعد التواصل بينهم وبين من خالفهم في العقيدة والمنهج من الحرص على الملاطفة وكف الأذى ،بالتواصل والحرص على أداء حقوق مجتمعاتهم ،فأدُّوا واجبهم تجاه مجتمعهم ببذل ما فرض عليهم من واجبات الإحسان والعناية بإقامة الدين في المجتمع ،وإقامة صرح الأخلاق والحياة الجادة المنتجة لجميع الأفراد ،والتواصل ببذل النصح بالكلمة الطيبة.ويمكن استجلاء عدد من مهارات التواصل الوالدي العكسي من خلال حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه،فهذا لسان مقال إبراهيم عليه السلام وهو يقابل الشرك والعناد ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ ﴾ (مريم :آية ٤٤-٤٧).فها هي دعوة لطيفة بأحب الألفاظ وأرقها لمن ملك قلبا قاسيا مشركا بالله تعالى فما بالنا بأبنائنا لنستثمر هذا التوجيه الرباني في تواصلنا مع أبنائنا.تقبل إبراهيم أباه ولم يتسرع في حكمه على أبيه ،فمع تلك الجهالة والقسوة،لم يغضب إبراهيم الحليم ، ولم يفقد بره وعطفه وأدبه مع أبيه : قال:سلام عليك ، سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا . وأعتز لكم وما تدعون من دون الله ، وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا،سلام عليك ، فلا جدال ولا أذى ولا ردا للتهديد والوعيد، فالذي يرجوه إبراهيم -عليه السلام- هو مجرد تجنيبه الشقاوة .

إن الحوار يعد شكلا من أشكال التواصل، وهو إضافة كبيرة للفرد المتربي تستهدف بناءه ، ولابد أن يقوم الحوار مع الأبناء على أساسين هامين هما: ١.احترام الأبناء في حوارهما.

٢. فهم الأبناء واحترام شخصياتهم، والابتعاد قدر الإمكان عن اللوم والانتقاد، واستخدام الكلمة الحانية في الحوار، مع حسن الاستماع والتعاطف. فهذه الآيات الكريمة :"بها وسائط اتصال لفظية، وحركات قلبية كثيرة منها:النداء الرقيق: يا أبت،طرح الأسئلة العقلية بدلا من تقرير الحقائق،بث الثقة في المحاوَر بأن المحاوِر لديه علم تام ومجزوم به حول نقطة الخلاف،إظهار عاطفة الخوف على المحاوَر،بيان العواقب، والتدليل عليها عدم اليأس من الإقناع، إبقاء حبل الود،مهما بلغ من عنف المحاور".[١٢]

ولنلحظ بداية التوجيه القرآني لقصة إبراهيم مع آبيه في سورة مريم، بدأ إبراهيم -عليه السلام- حواره وتواصله مع أبيه فقال كما قص الله علينا :﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ ﴾(مريم : آية٤٢) ، ولنتأمل هذا الأسلوب الرائع ؛ فقد نادى والده بألفاظ الحنو، والشفقة به؛ ليستميله، وليكون ذلك أكثر تأثيراً عليه ، وخص السمع والبصر لكونهما أبرز الحواس في التواصل والإدراك، ثم كرر يا أبت ليكسر حدَّة الخطاب القائم. ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ ﴾ ، فلم يعمد إلى أسلوب الأمر المباشر، أو النهي المباشر فيقول مثلاً: لا تعبد الشيطان أو لا تعبد ما لا يسمع، وإنما قال: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ ﴾، والمعنى " أي لم تعبد أصناماً ناقصة في ذاتها، وفي أفعالها، فلا تسمع، ولا تبصر، ولا تملك لعابدها نفعاً ولا ضراً، بل لا تملك لنفسها شيئاً من النفع، ولا تقدر على شيء من الدفع "[١٣]فوجب على معاشر المربين أن يتأسوا بأنبياء الله فمع جحود أقوامهم ، وتهديدهم لهم؛ كانوا يقابلونهم بالصبر فحري بنا أن نأخذ منهجهم ونطبقه على واقعنا ونأخذ به في تربية أبنائنا ومجتمعاتنا .

[١٢]-انظر:خالد الحليبي،مهارات التواصل مع الأبناء كي تكسب ولدك،ص(٤٤).

[١٣]-انظر:السعدي،تفسير الكريم الرحمن في تفسيركلام المنان،(ص ٤٩٤).

المطلب السابع

الازدواجية والتناقض في التعامل

ينظر الآباء والمربون لأبنائهم بشيء من الاهتمام ،وفي ظل هذا الاهتمام نجد حالة من القلق والصراع وعدم الاستقرار يشعر به الأبناء بسبب وجود التناقض فيما يطلبه منهم الآباء من تحمل مسئوليات أو القيام ببعض الالتزامات ،فظاهرة الازدواجية في التربية في توجيه الأبناء نحو الصواب هذا بالتأكيد يشكل خطرا على الأبناء من حيث أنه يشعرهم بالكثير من الحرج ، فيميلون إلى العدوانية والمشاكسة وحب النزاع والخصام كما أن شخصية البناء تتأثر سلبا فقد تنشأ شخصية هروبيه أو استسلاميه ومضطربة الفكر وغير قادرة على شق الطريق في الحياة وعاجزة عن اتخاذ القرار، كما لا يستطيع الأبناء تحمل المسؤولية، فيقعون في الحيرة بين الحق والباطل ،والصواب والخطأ ،وبين الخير والشر ،وبين الحلال والحرام ،وقد تنتج الكراهية ،وضعف الولاء للوالدين .

إن تربية الأبناء مسؤولية مشتركة بين الوالدين فقد ولاهما الله تعالى حفظ هذه الأمانة كل بحسب موقعه ،وقدرته ،ولا ينبغي حصر هذه المسؤولية في واحد من الأبوين دون الآخر ،وقد أشارت الآيات القرآنية ووجهت هذه المسؤولية المشتركة ونلتمسها في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الروم :آية٢١) ، فنجد الصلة التي يعقدها الله تعالى بين النفسين لينعما بالسكينة والاستقرار والراحة في بيت هادئ عامر بالمودة الخالصة والرحمة والحنان.

و في هذا الجو السليم المفعم بالمودة والرحمة لا بد أن ينشأ الأبناء نشأة سوية على الدين والخلق السليم وبذلك تكون تنشئة الأبناء مشتركة بين الزوجين،وقد أشار القرآن الكريم في كثير من الآيات إلى ذلك منها في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات : من آية ١٠) إشارة إلى الاجتماع على الحق فإذا كان هذا بين الأخوة في الدين والنسب فما بالنا بأقوى عهد وميثاق بين الرجل والمرأة يشعر كل من الزوجين أنه عين الآخر وذاته يجتمعون على تربية أبنائهم .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾(الشورى : من آية ٣٨) ، يبين الله تعالى بعض صفات المؤمنين ، ومثنيا عليهم ، **قال القاسمي** : أي لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه، وذلك من فرط تدبيرهم، وتيقظهم، وصدق تآخيهم في إيمانهم، وتحابهم في الله –تعالى– [١٤].

وقال سيد قطب: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ والتعبير يجعل أمرهم كله شورى، ليصبغ الحياة كلها بهذه الصبغة، وهو نص مكي، كان قبل قيام الدولة الإسلامية، فهذا الطابع إذن أعم وأشمل من الدولة في حياة

---

[١٤] – انظر: محاسن التأويل،(١٤ ، ٢٤٩).

المسلمين، إنه طابع الجماعة الإسلامية في كل حالاتها، ولو كانت الدولة بمعناها الخاص لم تقم بعد [15].

هذا في حق دولة فكيف إذا كان في حق الأسرة النواة الأولى لتلك الدولة .وفي قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ (البقرة :آية ٢٣٣).

وقال: في سورة الطلاق : ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾﴾ (الطلاق: آية ٦).

هاتان الآيتان في موضوع إرضاع الصبي، ووجوب التشاور حول فطامه، ومن يرضعه ومقدار الأجرة لذلك.

قال الطبري في آية البقرة: قال بعضهم: عني بذلك: فإن أرادا فصالا في الحولين عن تراض منهما وتشاور، فلا جناح عليهما.

و**قال قتادة:** إذا أرادت الوالدة أن تفصل ولدها قبل الحولين، فكان ذلك عن تراض منهما وتشاور، فلا بأس به.

وقال مجاهد: التشاور فيما دون الحولين، ليس لها أن تفطمه إلا أن يرضى، وليس له أن يفطمه إلا أن ترضى.

ثم قال الطبري: فإن أرادا فصالا في الحولين عن تراض منهما وتشاور، ولا تشاور بعد انقضائه، وإنما التشاور والتراضي قبل انقضاء نهايته [16].

وقال ابن كثير في قوله تعالى : ﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: ولتكن أموركم فيما بينكم بالمعروف من غير إضرار ولا مضارة [17].

فورود الشورى في القرآن جاء في عدة صيغ، فمرة بصيغة الأمر، ومرة بصيغة الخبر، وأخرى على شكل قصة، أو تأتي في سياق حدث من الأحداث.

إن تكرار الشورى، وتنوع عرضها يدل على ما لهذا الأسلوب من أثر في رسم المنهج وبيانه، وأهمية ترسيخ هذا المبدأ في حياة الناس، وعامة شؤونهم وأثره في قيام أسرة مسلمة نابذة للتضاد والازدواجية في التعامل ،فتوجيه القرآن للعلاقة التي بها نستطيع تربية النشء من أهم العلاقات ومن أهم العوامل المؤثرة على حياة النشء والأفراد فالمربون هم مناط القيادة والتوجيه فالعلاقة القائمة على التشاور والحوار بين الآباء وبين أبنائهم تخلق شخصية واثقة متزنة إيجابية ،والقرآن بهذا التوجيه يرسم لنا منهج حياة وممارسة مستمرة.

---

[15] – انظر:في ظلال القرآن (٥ ، ٣١٦٥).

[16] – انظر: تفسير الطبري (٢ ، ٥٠٦).

[17] – انظر:. تفسير ابن كثير (٤ ، ٣٨٣).

المطلب الثامن

التمييز بين الذكور والإناث

يتفاوت الذكور والإناث في كل أسرة من عدة نواحي إما من ناحية الشكل ، أو الطباع، أو المستوى الدراسي. وقد يكون هذا التفاوت سبباً رئيساً . أحياناً . لتغير تعامل الوالدين من ابن إلى آخر أو بنت إلى أخرى. وأحياناً هذا التباين في التعامل لا يكون وفق التفوق أو التقدم على الإخوان، فكل من الوالدين لهما نظرة مختلفة عن غيرهما تتحكم في هذا التمييز الذي غالباً ما تكون عواقبه وخيمة على الأولاد سواء على المدى القريب أو البعيد لذا حث الدين الإسلامي بشكل متواصل على المساواة بين الجنسين – الذكر والأنثى– في أمور عدة ، إذ خلق الله الذكر والأنثى وجعلهما على قدم المساواة، لا فضل لأحدهما على الآخر إلا بالتقوى. ونرى ذلك في **قوله تعالى** : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (**الحجرات : آية ١٣**) ، فقد جعل الإسلام الذكر والأنثى من نفس واحدة، حيث جاء في الكتاب العزيز **قوله تعالى** : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ (**النساء : آية ١**).

كما جاء الإسلام بالمساواة في الواجبات الدينية ، وفي الثواب والعقاب ، إذ جاء الإسلام للذكر والأنثى معاً، وبالتساوي ، فالأنثى متساوية مع الذكر في العبادة وفي حمل رسالة الله تعالى وفي تحقيق المتطلبات الدينية، وفي الثواب والعقاب وتطبيق حدود الله. وجاء ذلك في آيات عديدة ومنها قول الله تعالى **:** ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ (**التوبة : آية ٧١**) ، **وكذلك في قوله تعالى:** ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾ (آ ل عمران : آية ١٩٥)، وفي الآية الكريمة ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾(النساء : آية ١٢٤) ، وتفضيل أحد الأولاد ، وتخصيصه بمال أو ميراث أو عطيه أو رعاية فإنه من أمراض الجاهلية التي عادت أدراجها إلى المسلمين لتمزق العضد، وتمزع الشمل، وتقطع الأرحام، وتخلق الحقد والبغضاء والضغينة والعداوة بين أفراد الأسرة الواحدة.

إن التمييز بين الأولاد وتفضيل بعضهم على بعض يؤثر على نفسية الأولاد ويزرع فيهم العقد النفسية ويورث عندهم فساد الأخلاق ويضعهم أمام الانحراف وجهاً لوجه ، وقد تؤدي إلى الجرائم أو الشروع في الجريمة.

ولنا في قصة سيدنا يوسف –عليه السلام– درس أسري قيّم، حيث ظن إخوة يوسف أنّ أباهم يفضله وأخاه الشقيق عليهم، ويؤثرهما في المحبة، فاتفقوا على أن قتل يوسف، أو يلقوا به في أرض مجهولة بعيداً عن أبيه؛ ليستريحوا منه، ويبقى لهم حب أبيهم وتفضيله ، قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ (يوسف : آية ٧–١٠) ، قال ابن كثير : " هذا الذي يزاحمكم في محبة أبيكم لكم ، أعدموه من وجه أبيكم ، ليخلو لكم وحدكم ، إما بأن تقتلوه ، أو تلقوه في أرض من الأراضي ، تستريحوا منه ، وتختلوا أنتم بأبيكم ، وتكونوا من بعد إعدامه قوما صالحين ..." .[١٨]،من هنا يبقى أن يتعلم الآباء درسا وهو أنّه ينبغي أن لا نظهر الحب أو الإيثار لأحد الأبناء على حساب الآخرين.

وتعدّ التفرقة بين الأبناء من الأسباب التي تؤدي إلى عقوق الوالدين، وتولد الحقد والأنانية والكراهية في الأسرة، ومن ثم ينعكس ذلك على المجتمع، حيث يحمل أبناء المجتمع سلوكيات منحرفة، وتؤدي بهم إلى الانطوائية، ونحوذلك من الأخلاق الذميمة التي ينبغي على الآباء و المربيين المشاركة في تقليلها في المجتمع، وإن كان الآباء في بعض الأحيان يميلون إلى ابن أو ابنه أكثر من الآخر، شرط أن لا يظهر هذا الميل فنحن غير مؤاخذين شرعا بما يحصل من الميلان النفسي لطرف دون طرف ما لم يصاحب ذلك فعل ، إذ لابد من العدل بين الأبناء في المعاملة.

"الأولاد منحة من الله جل وعلا والاختلاف والفروق بينهم هو من عند الله،وهذه الفروق موجودة بين الإخوة والأخوات لحكمة لا يعلمها إلا الله، وواجب الآباء تجاه هذه الاختلافات التعامل بحكمة وروية لمنع المصادمات بين الإخوة خاصة النفسية منها، وذلك بالتعامل معهم باتزان وعدل"، [١٩]قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ (النحل:آية ٩٠).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ **(الأنعام:من آية١٥٢)**

والعيش معهم بشكل يوحي بالمساواة، وإن كانت الظروف قد تحكم أحياناً أن يراعى أحدهم دون الآخر، فيكون ذلك مع تحري عدم المبالغة أو إشعال نار الغيرة في نفوس البقية؛ فالأبناء أمانة والعدل بينهم

---

[١٨] –انظر:ابن كثير ،(٤،٣٣٦).

[١٩] –هيا الرشيد،التفرقة بين الأولاد،صيد الفوائد،الأسرة والمجتمع.

مطلوب ولا يمكن الحياد عنه وهذا يكمن في تلبية احتياجاتهم كلهم كل حسب حاجاته وسنه ووضعه وهذا يتطلب حكمة ورحمة وتعاطفا وما هذا إلا لخلق بيئة عادلة ينعم بها الأبناء .

المطلب التاسع

غياب القدوة

تظل العبارات والكلمات حبرا على ورق إذا لم تكن على أرض الواقع وتترجم إلى سلوك وتصرفات هنا تأتي العبارات والكلمات ثمارها في حياة المربين،فالقدوة الحسنة عنصر هامّ في كل مجتمع، فمهما كان أفراده صالحين فهم في أمس الحاجة لرؤية القدوات ، قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ (الأنعام:آية٩٠).وتشتدّ الحاجة إلى القدوة كلما بَعُد الناس عن الالتزام بقيم الإسلام وأحكامه، وتتأكد الحاجة بل تصل إلى درجة الوجوب إذا وُجدت قدواتٌ سيئةٌ فاسدةٌ تُحْسِن عرضَ باطلها. إن القدوةَ أكثرُ أثرًا وإقناعًا من الكلام مهما كان بليغًا ومؤثرًا، و هذا هو السرُ في إرسالِ اللهِ رسلاً من البشر مع أنه تعالى قادر وهو الذي لا يعجزه شيء على أن يلهم الناس شرعه، فاقتضت حكمته إرسال الرسل من البشر؛ ليكونوا منارات هدى وقدوات حسنةً ، فهم التطبيق النموذجي لشرع الله في كل عصر، وتطبيقهم حجةٌ على العباد ودليلٌ على واقعيةِ الشرع.

والإنسان مفطور على حب التقليد، وكثيرًا ما يكتسب معارفَه وخبراته ومهاراته بالتقليد والتعلم بالرؤية والمشاهدة أسهلُ وأسرع، والنفس بطبعها تحبّ الحصولَ على الشيء بأسهل الطرق وأسرعها ولو كان محرّمًا، لكن الشرع والعقل يضبطها.

و الإنسانِ أسير للقدوة، فيحمله ذلك الإعجابُ على التقليد والمحاكاة، وهنا تكمن خطورةُ الموضوع؛ لأنّ القدوةَ إما أن تكون حسنةً لها بريقها الذاتي فتَنجذبُ إليها النفوسُ تلقائيًا وتتأثر بها إيجابيًا، وإمّا أن تكون قدوةً سيئةً زخرفت وزينت ،حتى إذا عرفه عن قرب أدرك أنه كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا، بل تبين له الوجهُ الحقيقيُّ، وتشتد الحاجة إلى القدوة الحسنة في هذه الفترة الحساسة التي تمرُّ بها الأمة الإسلامية خصوصا في حال وجود الإعلام الذي أبرز نجومية أناس جعل منهم رموزا يحتذى بها ومثلا أعلى مما جعل الشباب يقتدون بهم وهم أقل من أن يقتدى بهم ؛ لذلك فنحن نحتاج إلى قدوات صالحه يدعون الناس بأفعالهم لا بأقوالهم ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣ ﴾(الصَّف : آية ٢-٣).

والقدوة الصالحة تمثل ما هو أعظم من المناهج الدراسية والقوانين أو الأبنية الفخمة ؛لذلك كان المربون من آباء ومعلمين لهم الأثر الكبير على الأبناء والأفراد في العلم والأدب وسائر الأخلاق والتصرفات ، و يتعلم منهم ما ليس بموجود في بطون الكتب من خلال سلوكهم.

وقد كان النبي ﷺ قدوةً كاملةً في جميع جوانب سيرته ، كانت سيرته مثاليةً للتطبيق على أرض الواقع، ومؤثرةً في النفوس البشرية؛ فقد اجتمعت فيها صفات الكمال ، واقترن فيها القول بالعمل ،لقد أرسل الله تعالى الرسل ليخالطهم الناسُ ويقتدوا بهداهم ، وأرسل الله سبحانه الرسولَ ﷺ ليكون للناس أسوةً حسنةً

يقتدون به، ويتأسون بسيرته قال تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠ ﴾ (الأنعام : آية ٩٠) ؛ ذلك أن القدوة لا تزال مؤثرةً ، وستبقى مؤثرةً في النفس الإنسانية ، وهي من أقوى الوسائل التربوية تأثيرًا في النفس الإنسانية ، لشغفها بالإعجاب بمن هو أعلى منها كمالاً ، ولأنها مهيأة للتأثر بشخصيته ومحاولة محاكاته ، ولا شك أن الدعوة بالقدوة أنجح أسلوب لبثِّ القيم والمبادئ."يقول عمرو بن عتبة : " وليَكُنْ أولَّ إصلاحُكَ لِبَنِيَّ إصلاحُك لنفسِك ؛ فإن عيونَهم معقودةٌ بعينك ، فالحَسَنُ عندهم ما صَنَعْتَ ، والقبيحُ عندهم ما تركتَ " .[٢٠]

وما يحدث الآن في واقعنا المعاصر للأسف من غياب وفقدان القدوة بحيث أصبح كثير من أبنائنا يتمثل في قدوته رمزاً من رموز الكفر من المصارعين واللاعبين والفنانين والمنحرفين وتجار المخدرات .. فأصبح أصحاب الشخصية السوية قليل، وهذا عائد لغياب القدوة الصالحة في المجتمع ؛فإذا فقدت القدوة سيفتح المجال لقدوات خارج إطار الدين والقيم الأخلاقية للأمة لتقوم بالدور.

وهنا فمسؤولية الأسرة والمجتمع ممثلا في أصحاب القرار تكمن في إيجاد القدوة التي تنتشل الشباب وتعيد لهم الهوية تزرع فيهم الثقة وحب الخير والتضحية والتكافل والمحبة والتعاون فيتسدد مسارهم ويتم توجيههم إلى ما يحفظ تفكيرهم وعقلياتهم من الانحراف والتقليد ؛ وعندما تنعدم مثل هذه القيم والأخلاق في المجتمع سيصبح وللأسف لنا قيم أخرى بديلة تتغير بها الشخصية وتكون النتيجة نهاية الأمر أفراد فارغين لا هدف لهم،و لم تنعت هذه الأمة بخير أمة أخرجت للناس ليكون هذا حال أفرادها وأبنائها.

[٢٠] –أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ،(٣٨/٢٧١).

المطلب العاشر

سوء استخدام مبدأ الثواب والعقاب

إن إثابة المحسن على إحسانه ، وعقاب المسيء على إساءته مبدأ أصيل لقوله تعالى : ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾ (الرحمن : آية ٦٠) ، وقوله تعالى : ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾(الشورى : من آية ٤٠) ، وعندما نريد غرس العادات الطيبة لابد من المكافأة على الإحسان للقيام بعمل يثبت في النفس جانباً من الارتياح الوجداني ، وعند تصحيح خطأ ما لابد من العقاب كوسيلة مساعدة لمعالجة ذلك الخطأ ، إن كلاً من الثواب والعقاب يؤدي إلى زيادة في التعليم إذا أحسنا استخدامهما ،يقول ابن مسكويه :"ليمدح الطفل بكل ما يظهر من خلق جميل وفعل حسن ويكرم عليه ، وإن خالف في بعض الأوقات لا يوبخ ولا يكاشف بل يتغافل عنه المربي ... ولا سيما إن ستر على الصبي مخالفته ... فإن عاد فليوبخ سراً ، ويعظم عنده ما أتاه ويحذر من معاودته .. فإنك إن عودته التوبيخ والمكاشفة حملته على الوقاحة....".[٢١]

وقد أورد علماء المسلمين مبدأ الثواب والعقاب تحت عنوان (باب الترغيب والترهيب)، وهما من أساليب التربية التي تعتمد على فطرة الإنسان ورغبته في الثواب والنعيم،ورهبته من العقاب والشقاء وسوء العاقبة. ففي الترغيب وعد بالإثابة ،وفي الترهيب زجر عن الزلل ،وقد استفاد علماء التربية والسلوك من هذا الأسلوب القرآني .

إن سوء استخدام مبدأ الثواب والعقاب من قِبل معظم المربين في مجتمعنا يتسبب في إلحاق أضرار نفسية كبيرة على الابناء تبقى آثارها شاهدة حتى الكبر.

فالثواب المفرط للأبناء مرفوض، وكذلك العقاب المفرط الذي يصل الى حد القسوة مرفوض أيضا، ولكن دمج الأسلوبين معا الثواب والعقاب هو الأسلم و ديننا دين وسطية فلا تنطع ولا تشدد ولا تسيب ولا إفراط ولا تفريط في الدين بل وسطية، وجميل أن نرى أبناءنا على هذه الوسطية ،فمبدأ الثواب والعقاب، إنما يستخدم لترسيخ القيم الإنسانية النبيلة، أو لإحلال قيم جديدة محل قيم أخرى غير مرغوب فيها.

وإذا كان العقاب هو الكفة الأعلى ستكون النتيجة ما قاله سابقا ابن خلدون: "من كان مَرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم، سطا به إلى القهر، وضيق عن النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل، وحمله إلى الكذب خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلّمه المكر والخديعة لذلك، وصارت له هذه عادة وخلقاً."[٢٢]

---

[٢١]-انظر:تهذيب الأخلاق (٢٢/١).

[٢٢]-انظر:مقدمة ابن خلدون (٧٠٤/٢).

من هنا نقول إن من يربي على القسوة والظلم فإنه يصبح خبيثا وكذابا ويتظاهر بغير ما في نفسه وذلك خوفا من الضرب والإهانة ويتعلم المكر والخداع وتصبح عادة متأصلة فيه ويفقد عزته وكرامته ويبتعد عن الناس ويفقد الدفاع عن نفسه ومنزله بل ويصبح إنسانا سلبيا يعتمد علي غيره في كل شيء وتضعف عزيمته في كسب الأخلاق الحميدة قد يؤدى إلى الانطواء أو الانزواء أو الانسحاب في معترك الحياة الاجتماعية، وهذا قد يؤدى للشعور بالنقص وعدم الثقة في النفس، ويقتضي ذلك صعوبة تكوين شخصية مستقلة والشعور الحاد بالذنب وكره السلطة الوالية وقد يمتد هذا الشعور إلى معارضة السلطة الخارجية في المجتمع، ويترتب على ذلك فساد المجتمع.

و الثواب هو أحد الوسائل التي تستخدم في تربية الأفراد والأولاد ، وينبغي أن يضمن ضوابط حتى تثمر تربية حقيقية فعّاله؛ لها بالغ الأثر في النفوس،ولا ننسى أن الثواب يفوق العقاب في أثره، واعتباره سلاحاً ذو حدّين، يكون عند الاستحقاق من جهة، ويساهم في تكرار السلوك المرغوب فيه من جهة أخرى، مما جعل منه أسلوباً تربوياً ناجحا[٢٣]،ولكن لو دقَّقنا النظرَ بتدبُّرٍ وتفكُّر في الآيات القرآنية التالية نجد أصلا عظيما هو أساس التوازن وتحقيقِ التقابل والتوسُّط المنشود الذي يقِف بين الإفراط والتفريط وبين الغلوّ والجفاء، في مبدأ الثوابِ والعقاب قال تعالى:﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (فصلت آية : ٤٦) ، وقوله : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ﴾(فصلت آية : ٣٤) ، وقوله : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (يونس آية: ٢٦)، وقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ (يونس آية: ٢٧)، وقوله :﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (النمل آية: ٨٩، ٩٠)، وقوله : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ (الزلزلة آية: ٧، ٨)،من هنا نستطيع أن نقول إنه لا يستقرَّ مجتمعٌ انحازَ إلى أحدِ شطرَي هذا المبدأ، فلن يُفلِح مجتمعٌ لا يعرِف إلا الثّواب ولم يسلك إلا مسلكَ الإرجاء، كما أنه لن ينهضَ مجتمعٌ لا يعرِف إلا العقاب ولم يسلك إلا طريقَ التنطُّع والمشادَّة.فإذا ما عمَّ مبدأ التوازن بين الثوابِ والعقابِ مجتمَعًا ما فلن يكونَ بين أفراده إلا الاتحاد والالتئام، والسور الذي لا يُخرَق، والحاجز الذي لا يُنتهَك.

---

[٢٣]–انظر:كمال الدسوقي، علم النفس العقابي أصوله وتطبيقاته،(ص١٢٦) ،وعدنان علي النحوي، التربية في الإسلام (ص٢٢٦)،و محمد رشاد خليل، علم النفس الإسلامي العام والتربوي،(ص١٨٢).

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على من لانبي بعده، أمابعد...

نعم الله لا تحصى ،ومن تلك النعم نعمة الأبناء قال تعالى : ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ (الكهف : آية ٤٦) ،

وهذه النعمة من الأمانة التي حذر الله ﷻ من إضاعتها والتفريط بها ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ (الأحزاب :آية ٧٢)، وأمر بالقيام بحقها قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ (التحريم :من آية ٦).

إذن لابد من الإخلاص لله ﷻ واستصحاب النيه في أمر التربية حتى نؤجر،ونتبع هدي القرآن وهدي محمد ﷺ في تربية أبناءنا.

من خلال تلك المطالب السابقة نوصي أنفسنا والجميع بالآتي:

١- يجب تربية أبناءنا على حب الله ورسوله ﷺ .

٢- احترام مشاعر ابناءنا،فهم كيان مستقل.

٣- لنجاهد أنفسنا لنسمع أبناءنا أحسن وأطيب الكلمات.

٤- لتكن تربيتنا لأبناءنا بين الترغيب والترهيب .

٥- الإفصاح عن مشاعر الحب لأبناءنا.

٦- اعطاء أبناءنا فرصه للحواروالمناقشة والتجاوز قليلا عن بعض أخطائهم فيها.

٧- إقامة علاقة قائمة على الصداقة بين أبناءنا ،والبعد عن الأوامر والنواهي.

٨- أخيرا وليس بأخير الدعاء لهم في حضرتهم وغيبتهم بالصلاح والهداية ورضا الرحمن.

رزقنا الله الذرية الصالحه وأقر أعيننا بصلاح ذرياتنا وصلى الله على نبينا محمد معلم البشرية وعلى آله وصحبه وسلم.

الفهارس

١-القرآن الكريم .

٢-جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري،**المحقق** :أحمد محمد شاكر،مؤسسةالرسالة**ط١ت٠** ١٤٢ هـ.

٣- الجامع لأحكام القرآن الكريم ،محمد بن أحمد القرطبي،الرسالة ،ط١ت ١٤٢٧هـ.

٤-تفسير القرآن العظيم،أبو الفداء اسماعيل بن عمربن كثيرالدمشقي،دار الكتب العلمية ،بيروت،ط١ت١٤٢٩هـ.

٥-التيسير في أحاديث التفسير،محمد المكي الناصري،دار الغرب الإسلامي ،بيروت،ط١ت ١٤٠٥هـ.

٦-تاريخ دمشق،لابن عساكر ،تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،**ت** 1415 هـ - ١٩٩٥ م.

٧-تهذيب الأخلاق،لابن مسكويه،تحقيق عماد الهلالي،ط ١ت ٢٠١١م.

٨-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،عبد الرحمن بن ناصر السعدي،الرسالة ،ط١ت١٤٢٠هـ.

٩-التحرير والتنوير"تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، :محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي الدار التونسية للنشر،ت**١٩٨٤**هـ.

١٠-علم النفس العقابي اصوله وتطبيقاته،كمال الدسوقي،دار المعارف،ط١ت١٩٨٨م.

١١-علم النفس الإسلامي العام والتربوي،محمد رشاد خليل،دار القلم، الكويت،ط١ت١٤٠٧هـ.

١٢-في ظلال القرآن،سيد قطب،دار الشروق بيروت،ط١٤١٢هـ.

١٣-مجموع الفتاوى،تقي الدين ابن تيمية الحراني،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ،المدينة المنورة،ت ١٤١٦هـ.

١٤-محاسن التأويل،لمحمد جمال القاسمي،تحقيق محمد عبدالباقي، الناشرعيسى البابي الحلبي ط ١ ت ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م

١٥-مقدمة ابن خلدون،عبد الرحمن بن محمد بن خلدون،دار يعرب،ط١ت١٤٢٥هـ.

١٦-مهارات التواصل مع الأولاد كي تكسب ولدك؟خالد بن سعود بن عبد العزيز الحليبي،مركز الملك عبد الله للحوار الوطني**ط١ت**١٤٣١هـ.

١٧-علم النفس العقابي اصوله وتطبيقاته،كمال الدسوقي،دار المعارف،ط١ت١٩٨٨م.

١٨-علم النفس الإسلامي العام والتربوي،محمد رشاد خليل،دار القلم، الكويت،ط١ت١٤٠٧هـ.

١٩-مجموع الفتاوى،تقي الدين ابن تيمية الحراني،مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ،المدينة المنورة،ت ١٤١٦هـ.

٢٠-مقدمة ابن خلدون،عبد الرحمن بن محمد بن خلدون،دار يعرب،ط١ت١٤٢٥هـ.
٢١-المكتبة الشاملة.وموقع صيد الفوائد،المكتبة الوقفية.